الفصل الثانـــى
مـذهـبـــه

4) مذهبه فى مقابل الأفكار الفلسفية المجردة.
5) المدخل إلى المذهب (المغالاة فى الاتجاه الحسى).
6) تحليل لكتاب (دراسة فى الإحساسات).
7) بين (المقال فى أصل المعارف الإنسانية) و (دراسة فى الإحساسات).
8) نقد المذهب الحسى عند كوندياك.
9) أهمية الإحساسات كمصدر للمعرفة.

الفصل الثانى

مـــذهـــبـــه

1) مذهبه فى مقابل الأفكار الفلسفية المجردة

يرى كوندياك أن العلم هو الحد المنظم للملاحظات والاستدلالات، ولكى نقيمه لابد من جمع كل المعارف المتصلة بالمادة، أى التى نكتسبها عنها ثم نوزعها بنظام فتصبح المعارف مبادئ، أو نتائج لبعضها البعض [1].

يقول كوندياك على سبيل نقد الفلسفات النظرية ظللنا فترة طويلة غير قادرين على عمل الملاحظات، أو معرفة الاستدلال فى ضوء الملاحظات الموجودة أو القدرة على تصنيفها بنظام، وقد وصلتنا معارفنا مركبة لم يميز فيها القدماء الأجناس والأنواع، كما ضموا العلوم والفنون والفلسفة لبعضها البعض تحت مسمى واحد مثل الشعر، البلاغة، والموسيقى، التاريخ، الأخلاق ، السياسة، الدين، الفلسفة، وعندما دفعت الإنسان حاجته إلى ملاحظة الطبيعة تصور أنه توصل إلى وسائل تقدمه، وصنع تجربته التى تبين له الصواب من الخطأ، كذلك أدت حاجته إلى التقدم فى الفنون اللازمة لحياته إلى اكتشاف العلوم المفيدة مثل علم الفلك الذى كان ضرورياً لقيام الزراعة، وعلم الهندسة الذى كان ضرورياً للفلك، كما كان من الضرورى للناس كذلك وجود فن الحرب ، وفن الحكم [2].

([1]) Traite des sensations P 37.

([2]) Traite des sensations P 49.

وبمرور الزمن لم يتمكن الإنسان من ملاحظة أخطائه، ولم يفكر الفلاسفة فى تنظيم موضوعات ملاحظاتهم للطبيعة، كى يدرسوها بنظام فوزعوا اهتماماتهم على موضوعات شتى ودراسات متباينة، وميزوا بين القليل من العلوم بطريقة عقيمة وغير مجدية [1].

لقد ظن القدماء أن فى مقدرتهم معرفة العالم وإدراكه من مجرد النظر إليه فقالوا بالمعرفة الكلية، ودارت تساؤلاتهم الكثيرة عن العالم وحقيقته بدون أن يعرفوا مدى إمكانها أو استحالتها، كما مجدوا اكتشافاتهم، وهم جاهلون بوسيلة العمل فى بحوثهم، بل وبدون معرفة بها.

وقد وضع أرسطو الميتافيزيقا وجمع فيها الأفكار المجردة مثل الوجود، الجوهر، المبادئ، العلل، العلاقات، وغيرها من أفكار تعالج ما لا يمكن إدراكه، وكان التحليل مقصد أرسطو فتحليل أفكارنا كان بغيتة الأولى، ولذا فلم تنفصل الميتافيزيقا عن العلوم، وبالمثل لم ينفصل التحليل عن علومنا. لقد صار يحتل فى العلوم مكانة الميتافيزيقا، يسبقها وبيحث فى كيفية نشأتها. إن هذا هو ما نسميه علم النفس Psycologie، ذلك العلم الذى يدرس نشوء ومصدر معارفنا[2].

لقد اهتم القدماء بمعرفة الأفكار المجردة التى لا تكفى وحدها لقيام العلم؛ إذ لابد من أخذ نتائج الأفكار المحسوبة فى الاعتبار؛ لأنها تكون الميتافيزيقا، وهى العلم الذى يمثل أفضل موضوعات

---

(1) Ibid.

(2) Le Roy, Georges: La Psychologie de condillac, Paris 1937.

معرفتنا. وهكذا يدرس العلم بالحقائق المجردة ما هو محسوس فينا مثلما تدرس الفيزياء العالم المحسوس الخارجى، وعن طريق هذه الدراسة تكتشف المبادئ وتتكون المذاهب، ويطبق منهج الإدراك أو الفكر[1]. وهكذا تتصدر الميتافيزيقا على نحو ما يفهمها كوندياك. بوصفها الإدراك الحسي. معرفتنا برمتها ،فتعرف النفس الإنسانية، وتعالج العلوم النسبية باستخدام منهج الإدراك، كما تمدنا بمنهج العلوم الطبيعية[2]. وتفهم الأخلاق التى يصبح الإدراك قاعدتها الأساسية وتؤسس الرياضيات نفسها، وعن طريقها ندرك التمييز بين النفس والجسد، وخلود النفس، كما ترتقى بنا حتى نبلغ معرفة الله[3].

ورغم أن كوندياك يسلم بقدرتنا على إدراك وجود النفس، والله على غرار إدراكنا للأشياء الخارجية، بيد أنه يسلم من جهة أخرى بعجزنا عن الحصول على ماهية النفس، أو الموجودات المادية أو الطبيعة؛ لأن كا ما يستطاع معرفته عن الموجودات المادية، وكل ما هو مركب فى الحياة الواقعية حتى معرفة الله ذاتها إنما تستمد من خلال العالم الحسى[4].

وتنقسم ميتافيزيقا الإنسان عند كوندياك إلى قسمين أولهما يشمل علم النفس الذى يبحث فى أفكارنا ويفحصها ويبين كيفية تكونها ، وثانيهما هو الميتافيزيقا الخاصة، أو فن التفكير أو (المنطق). ثم الميتافيزيقا.

([1])Condillac. E.B:Traite des systems P.11 Armsterdam leibgig1746.

([2]) Ibid.

([3]) Ibid.

([4]) Ibid.

2) المدخل إلى المذهب (المغالاة فى الاتجاه الحسى).

هل يحق لنا أن نقول أن فلسفة كوندياك تبدأ حين تنتهى تجريبية لوك، وهل غالى كوندياك فى الاتجاه الحسى، فاستبعد أفكار التأمل التى أفسح بها لوك مجالاً للتأمل العقلى كان مستغرباً على نزعته الحسية التى اتسم بها مذهبه التجريبى.

إن كوندياك يستبعد هذه الأفكار برمتها، ويؤسس مذهبه الحسى على الإحساس الظاهرى، فيرجع إليه جميع قوى العقل والإدارة، ويتصور أنه الطريق الوحيد للمعرفة، وبذلك يستغنى عن التفكير باعتباره مصدراً أساسياً للمعرفة، ومن ثم يذهب كوندياك فى الحسية إلى أبعد من لوك[1]. ولكن إذا كان كوندياك قد استغنى عن العنصر الأساسى فى العملية الفكرية وهو التفكير العقلى الخالص أو التأمل، فكيف تسنى له أن يؤسس مذهبه فى المعرفة عن طريق الإحساسات Sensations.

لقد تصور أن الاحساسات الظاهرية هى علة قوى النفس برمتها (عقلية وإرادية) بحيث أن انتباه النفس إلى أى إحساس منها يكون كافياً لتوليد جميع القوى النفسية.

ومن الطريف فى مذهب كوندياك أن يتصور فى سبيل تفسيره تمثالاً Statue حياً داخل تمثال من الرخام، ويبدأ فى تفسير قوى الإنسان Facultes عن طريق الإحساسات مدللاً بذلك على ما يحدث للتمثال من

---

(1) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف بمصر 1957، ص 184.

إحساسات فيقول إننا لو كسرنا أنف التمثال الرخامى Statue فإننا نعطيه الفرصة فى داخله لكى يستنشق، أو يشم وبذلك **فإنه يكون قادراً على إستخدام حاسة الشم- وهى أدنى حاسة من الحواس-**

وعندما يبدأ التمثال فى إستخدام هذه الحاسة فإنه سوف يشم أية رائحة مثل رائحة الزهرة مثلاً. فلو استطاع التمثال أن يشم رائحتها لملأت هذه الرائحة كل حواسه، وتملكت قواه وعندئذ ينتبه، والانتباه attention هنا هو الإحساس برائحة معينة، ويظل هذا الإحساس برائحة الزهرة مستمراً فى الإحساسات إلى أن يحس التمثال برائحة مغايرة، أى مختلفة عن رائحة الزهرة، وهنا يحدث الانتباه وتأخذ هذه الرائحة فى تملك قوى النفس، غير أن إحساسه بالرائحة التالية يشكل قوة الذاكرة memoire عند التمثال.

وسوف نوضح من خلال هذا الجدول أمثلة للقوى العقلية وعلاقتها بالإحساسات الظاهرة كما وردت عند كوندياك

يبين لنا هذا الجدول كيف استطاع كوندياك أن يفسر قوى العقل عن طريق الإحساس الظاهر المنصب فى حاسة الشم Odorat على وجه الخصوص فالإحساس الممثل فى شم رائحة الزهرة مثلاً يجعل الإنسان أو (التمثال)- على حد قوله- فى حالة انتباه فإذا ما أحس التمثال برائحة أخرى مغايرة، فإن موقفه الحسى من الرائحة الأولى والثانية يعطيه إحساساً بالذاكرة، أى يولد فيه قوة الذاكرة، وإذا ما حاول أن يقارن بين الرائحتين الأولى التى حدثت فى الماضى، والثانية التى تحدث فى الحاضر فإن هذا الإحساس يولد لديه قوة المقارنة Comparaison، وإذا ما أدرك التمثال الفوارق بين الرائحتين، فإن ذلك يعطيه إحساساً بقوة

الحكم، ويُكوّن لديه حاسة الأحكام الموجبة أو السالبة، أما تكرار المشابهة والحكم فيولد لديه قوة الإستدلال Raisoning، وإذا أحس التمثال بإحساس مؤلم مع تذكر إحساس آخر باللذة كان ذلك سبباً لإفساح مجال المخيلة Imagination وذلك عندما يتذكر التمثال كيف كان متألماً ثم كيف أصبح غارقاً فى اللذة.

جدول رقم (1)

الإحساس الظاهر	القوى العقلية الناجمة عنه
إحساس الشم	القدرة على الانتباه
إحساس برائحة مغايرة للرائحة الأولى	القدرة على التذكر
المقارنة بين الرائحتين مع إحساس بالحاضر والماضى	القدرة على المقارنة
إدراك الفوارق بين الرائحتين	القدرة على الأحكام الموجبة والسالبة
تكرار المشابهة والحكم	القدرة على الاستدلال
إحساس مؤلم مع تذكر إحساس باللذة	القدرة على التخيل

وهكذا تفسر جميع قوى العقل من انتباه، وذاكرة ومقارنة وقدرة على تكوين الأحكام الموجبة والسالبة بالحواس الظاهرة وخاصة حاسة الشم sens du odorat ويضيف كوندياك قوى الإرادة إلى قوى العقل ويجعلها نابعة هى الأخرى من الإحساسات (أى من إحساس الشم)، وهى تنبع من الإحساس باللذة de plaisirs والألم de peine فإذا ما تذكر التمثال رائحة لذيذة وكان فى ذلك الوقت منفعلاً بإحساس مؤلم، فإن ذلك ينشأ بقوى التذكر الذى ينشأ عنه الدفع إلى الاشتهاء Les Passions، فإذا ازداد الاشتهاء وقوى، تحول إلى إحساس الهوى

(الحب) L'amour، وعن طريق هذه الإحساسات والانفعالات تتولد إحساسات الحب والكراهية La Haine، وكذلك الخوف La Crainte والرجاء esperance، فإذا ما حصل التمثال على موضوع شهوته بلغ حال الرضا أى الإحساس بالرضا، أما إرادته فإنها تتحقق نتيجة حالة الرضا التى تولد فيه عادة الحكم بأنه لن يصادف ثمة عقبة فى سبيل تحقيق شهوته، وعلى هذا النحو تمثل الشهوة مع الإحساس بالقدرة على تحقيقها أو الإحساس بها قوام الإرادة.

وسوف نبين فى الجدول التالى الإحساسات والقوى الإرادية التى تدفع لها أو تخلقها فى النفس علماً بأن قوى الإرادة تنبع من الإحساس باللذة والألم.

جدول رقم (2)

الإحساسات والقوى الإرادية التى تنبع من الإحساس باللذة والألم

الإحساس	القوى الإرادية
تذكر رائحة لذيذة مع وجود انفعال	الدافع للشهوة
بإحساس مؤلم	
سيطرة الشهوة	الدافع للهوى
جموح الهوى	دوافع الحب والكراهية والخوف والرجاء
إشباع الشهوة	الرضا والإشباع
الشهوة المدفوعة بقوة النفس على تحصيلها	الإرادة
تذكر رائحة لذيذة مع وجود انفعال بإحساس مؤلم	الدافع للشهوة

على هذا النحو الذى بينه كوندياك تعلو الإحساسات وتصبح المنشأ الأصلى لقوى النفس العقلية والإرادة على حد سواء. ثم يبدأ بعد ذلك السؤال عن العلاقة بين التمثال والعالم الخارجى، حيث يطرح كوندياك فى ضوء هذه العلاقة التساؤلين التاليين:

أ- كيف يدرك التمثال المقادير والمسافات؟

ب- كيف يدرك أن شيئاً موجوداً خارجاً عنه؟

إن التمثال فى تصوره ليس له علاقة البتة بالعالم الخارجى، كما أنه لا يعلم أن جسده موجوداً وأن إحساساته لا تخرج عن كونها انفعالات ذاتية، يقول كوندياك فى القسم الثانى من كتابه "دراسة فى الإحساسات": "إن الأكمه الذى يستعيد بصره لا يميز بين كرة، وبين مكعب؛ لأنه كان يعرفها بطريق اللمس، لأن اللمس يدرك الأشكال أولاً ثم يدركها البصر بفضل علاقاته باللمس، ومن ثم يستغنى عن الاحساسات اللمسية المساعدة له" [1]. وهو يتفق مع لوك فى مسألة إدراك المقادير والمسافات distance أما بالنسبة للمسألة الثانية المتعلقة بإدراك العالم الخارجى، فإنه يرى أن المعرفة بالأشياء الخارجية Connaissance des objets exterieurs ترجع إلى تقارن الإحساسات الخاصة باللمس Toucher مثال ذلك أن يحس التمثال بحرارة فى إحدى الزراعين وبرودة فى الأخرى. فى ذات الوقت فضلاً عن ألم فى الرأس. ويرى كوندياك أن الإحساسات اللمسية يمكن أن تتقارن فقط، ولا نجد لها صدى فى الخارج، أما فكرة الخارج فإنها تنشأ من مقارنة

([1]) Trait des sensations 2eme partie p 32.

العالم الخارجى لحركتنا ، ومن ثم فإننا نضيف جسدنا إلى نفسنا ثم نقوم بالتمييز بينه ، وبين سائر الأجسام الأخرى.

ولكن ما الذى يشعرنا بأن إحساساتنا خارجية؟ إنه اختلافها فى القوة فالإحساسات التى تنشأ عن الروائح والأصوات والألوان فى قوتها فتعطى الإنطباع بأنها أحوال خارجية فى حين أنها ليست كذلك ، ومن ثم ترجع أحكامنا الخارجية إلى إحساسات فحسب.

وبعد أن يفرغ كوندياك من تفسير قوى العقل والإرادة عن طريق الإحساس الظاهر المرتكز على حاسة الشم يصبح التمثال قادراً على توليد الميول من الانفعالات ، ولكن هل يصبح قادراً على تصور المعانى أى تجريدها وتعميمها.

إن كوندياك يعطى للتمثال القدرة على التجريد والتعميم فكونه يميز بين ما يحصل له من حالات يجعله قادراً على تحصيل معنى العدد ، وقدرته على تغيير الرائحة التى يحسها وعودته إلى حالته الأولى بدون إحساس بها هى قدرة على تحقيق معنى الممكن ، فى حين أن قدرته على الإحساس بالزمان تنتج عنده من إدراكه للتعاقب بين الإحساسات المختلفة Succession de sensation ، كما تتبلور شخصيته وتتكون من خلال إحساسه بمجموع الإحساسات التى يحسها ، يرى كوندياك أن الطبيعة تخلو من الماهيات والأنواع والأجناس وتبقى الألفاظ الكلية هى الوسيلة التى تعبر عن وجهات نظر الذهن عندما يدرك التشابه والتمايز بين الأشياء.

وسوف نوضح فى الجدول التالى الأحوال التى تحدث للتمثال وما ينجم عنها من معانى:

جدول رقم (3)

جدول يوضح قدرة التمثال على تصور المعانى

الأحوال التى يحس بها التمثال	المعنى الناتج
تمييز التمثال بين ما يحصل له من حالات مختلفة	الحصول على معنى العدد
قدرته على تغيير الرائحة التى يحسها وعودته إلى حالته الأولى بدون إحساس بها	الحصول على معنى الممكن
إدراك التعاقب بين الإحساسات	الحصول على معنى الزمان
إحساسه الكلى بمجموعة الاحساسات التى يحسها	الحصول على معنى الشخصية

ويقسم كوندياك المعانى إلى بسيطة، ومركبة يكشف عن عناصرهما التحليل. والإستدلال لا يتأدى من الكلى إلى الجزئى بل ينصب عنده فى أحكام الكلمات وهو استدلال حساب Calcul مثل حساب الجبر الذى يرجع إليه كافة أنواع الاستدلال Raisonnement .

ويبرز كوندياك أهمية اللغة عندما يشير إلى المعانى المجردة باعتبارها ألفاظاً بحيث تصبح اللغة هى الوسيلة الوحيدة لتخيلها، فالاسم هو أصل المعنى المجرد وبالتالى يصبح الاسم هو أصل معانى أجناس وأنواع وبالتالى نعجز عن الاستدلال ما لم نتمكن من استيعاب اللغة وتحديد مصطلحاتها[1]. وألفاظها، وهو هنا يتفق مع لوك على ما سنرى فيما بعد.

([1]) Ibid.

3) تحليل لكتاب "دراسة فى الاحساسات".

إن أفضل تحليل لهذا الكتاب الرئيسى عند كوندياك هو الذى قام به كوندياك نفسه فى "النبذة العقلانية" أو الملخص العقلانى الذى أضافة للطبعة الثانية وهو الملحق بهذا التحليل المفصل للجزء الأول [1].

ينقسم الكتاب إلى أربعة أجزاء يعالج الجزء الأول فيه الحواس التى تحكم بذاتها على الأشياء الخارجية، وتبين الفصول من الأول للسابع ما تضيفه حاسة الشم [2].

الفصل الأول: يبحث فى اقتصار قدرات التمثال على الشم، وبالتالى فهو لا يميز إلا الروائح، وهذه الروائح تعنى بالنسبة له تحولاته وصور تواجده، فالتمثال هو ذاته رائحة الورد أو الفرنفل أو الياسمين، والتمثال فى هذه المرحلة ليس لديه أى فكرة عن المادة[3]. **أما الفصل الثانى:** فيبين فيه قدرة التمثال على الانتباه؛ لأن كل إحساس منفصل بذاته عن الإحساسات الأخرى. كما نجده على الإحساس بالسعادة والعذاب، فاللذة والألم هما المبدأن الوحيدان والمحركان المتحكمان فى كل عمليات النفس Operations de l'ame، ولن يكون التمثال قادراً على تكوين رغبات *Desires* إلا حين يزود بالذاكرة. والذاكرة تنشأ من الانتباه الذى يحتفظ بإحساس الرائحة مع الانطباع

([1]) Trait des sensations p 9.

([2]) Ibid.

([3]) Ibid.

Impression المصاحب لها قوياً كان أم ضعيفاً[1]. وسوف تكون الذاكرة بالنسبة له عادة habitude، أما القدرة على التذكر بدون معاناة فسوف تمكن التمثال من مقارنة الإحساسات الحاضرة بالماضية، وهذا يعنى القدرة على الحكم jugement، ويصبح تعريف الحكم هو الانتباه الموجه المرة تلو الأخرى لفكرتين، واختلاط اللذة والألم بالذاكرة يتولد عنه الحاجة besoin، وهى المتعة السابقة التى تمت مقارنتها بألم حرمان Privation حاضر، والحاجة تنشط الذاكرة. ونتيجة لهذا ينشأ الخيال، والخيال ذاكرة حية تجعل التمثال وهو تحت تأثير الحاجة يستمتع بالماضى، كما لو كان حاضراً، ويمكن للخيال أن يغير فى تسلسل وترتيب الأفكار[2]. فليست الفكرة الأخيرة هى بالضرورة أفضلها وأعذبها، ومن هنا تظهر إلى الوجود العلاقات المختلفة بين الأفكار، كما يمكن للتمثال كذلك أن يتعرف على الإحساسات التى سبق له الشعور بها، فالرائحة المألوفة بالنسبة له ترتبط بجزء من أجزاء سلسلة الأفكار التى اعتادت الذاكرة استعادتها. جميع هذه العادات مثل عادة الانتباه والتذكر، والمقارنة، والحكم، والتخيل، والتعرف على الإحساسات تتلذذ وتقوى بعضها بالبعض الآخر لنشوئها بالتكرار، وفى ضوء مصلحة ما[3]. ورغم كل ذلك يظل تمييز *discernement* التمثال محدوداً إلى حد أنه لا يستطيع تمييز عدة روائح فى آن واحد. أما موضوع **الفصل الثالث** فيشير إلى الرغبة التى هى حركة قوانا وقدراتنا عندما تتجه إلى شيء نحس

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

بالحاجة إليه، والرغبة العارمة هى رغبة مسيطرة طاغية، ومن هنا تنشأ عاطفة الحب بكل درجاتها (الاختيار. الميل. الرغبة)، وكذلك الكراهية بكل درجاتها الابتعاد والاحتقار والامتعاض)، كذلك ينشأ الأمل والخوف فضلاً عن الإرادة التى تعنى الرغبة المطلقة التى تجعلنا نشعر بقدرتنا على الحصول على الشيء المرغوب[1].

ويبحث الفصل الرابع: من "دراسة فى الإحساسات فى القدرات العقلية للتمثال، وفى قدرته على التجريد والتعميم وغيرها من قدرات عقلية[2]. فالتمثال المحدود بحاسة الشم يحس بالرضا والسخط، وتصبح هذه الأفكار مجردة لا مكان فصلها عن أى تغيير خاص، والتجريد هو فصل فكرة عن أخرى تبدو علاقتها واتحادها معها طبيعياً، وتصبح هذه الأفكار عامة؛ لأنها مشتركة بين أحوال عدة[3]. ويمكن للتمثال الوصول إلى مفهوم العدد عندما يميز بين الحالات المتعددة التى يمر بها فتصبح الذاكرة هى مصدر هذا المفهوم؛ لأنها تميز بين رائحتين فى آن واحد. ومن ناحية أخرى نجد أن التمثال لا يستطيع المضى طويلاً فى هذا الشوط فهو لا يملك إلا الرمز "واحد" فالرموز هى التى تساعد على الاستمرار فى الفروض، وهكذا تصبح للتمثال فكرة عن الممكن والمتسحيل، كذلك نجده يعى الزمن الماضى، والذى لم يأت بعد إلى جانب الزمن اللامتناهى، غير أن فكرة

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.

(3) Ibid P11.

الديمومة duree ليست مطلقة بل نسبية فلايحكم أحد عليها إلا بتتابع أفكاره وتواليها[1].

وفى الفصل الخامس: يغشى القدرات والملكات التعب والإرهاق فتنشأ حالة النوم حين لا تثير الذاكرة أو الخيال أى إحساسات، أما حالة الرؤى والأحلام فتتكون من إيقاظ الخيال لبعض الأفكار وسكون البعض الآخر، ولا يصبح التمثال قادراً على التمييز بين هاتين الحالتين لاقتصار قواه على الشم فقط. **وموضوع الفصل السادس:** يبحث فى عجز التمثال فى أول لحظات وجوده عن قول: "أنا" [2]. وتلعب الذاكرة الدور الأساسى فى تكوين شخصيته المستقلة[3]. لكن بمجرد أن يتذكر لا يستطيع أن يكون رائحة ما إلا بتذكر تكوينه لرائحة أخرى فى مرحلة سابقة. وعلى هذا النحو تتكون ذاتيه من مجموعة الإحساسات التى يشعر بها، وتلك التى تذكره الذاكرة بها[4] تتكون ذاتية من مجموعة الإحساسات التى يشعر بها، وتلك التى تذكرة الذاكرة بها [5].

وفى الفصل السابع يلخص كوندياك الأمر يقول: بأنه حتي لو اقتصرت النفس على حاسة واحدة، فإنها إنما يكون لديها نواة كل

---

(1) Ibid.

(2) يُلمح كوندياك بتصور، عن بحث التمثال عن قول "أنا" يلمح بطرف خفى-إلى الأنية التى تثبت الوجود وتثبت معها الذات (النفس)التى تشير من بُعد إلى المرحلة الأولى فى الكوجيتو الديكارتى، وفى محاولة إثبات الذات والعالم والله.

(3) Ibid.

(4) Ibid.

(5) Ibid.

القوى والقدرات التى تغطيها الإحساسات بعد ذلك. ويصبح عاملي "اللذة والألم" هما المحركان الأولان والوحيدان اللذان ترتكز عليهما تطور هذه القوى[1].

ويدرس كل من الفصلين الثامن والثاني عشر الإضافات التى تأتي بها الحواس الأخرى كالسمع والتذوق والبصر باستثناء حاسة اللمس، أما الفصل الثامن فيصور فيه كوندياك التمثال وقد أصبح كل صوت يسمعه عندما اقتصرت حواسه على السمع، كما يكتسب نفس الإمكانيات والقدرات التى اكتسبها مع حاسة الشم، ويصل الأمر بالتمثال إلى تمييز الضجة وتسلسل الأصوات وتتابعها والغناء إذا ما اجتماع كل هذه الأشياء معا[2] ويكون مدار البحث في الفصل التاسع حول اجتماع حاستي الشم والسمع، وكيف أنه لا يعطي أى فكرة عن ألأشياء الخارجية فالتمثال لا يمكنه تمييز الصوت عن الرائحة التى يحس بهما في ذات الوقت. إلا أنه وفي مرحلة تالية يمكنه تمييزها عن بعضهما البعض بفضل الذاكرة لكنه عندئذ يستشعر بإزدواجية وجوده. وتصبح ذاكرته فى هذه الحالة اتساعا وامتدادا وأكثر قدرة على تكوين الأفكار المجردة [3].

أما موضوع دراسة الفصل العاشر[4] فتنصب على أهمية حاسة الذوق التى يري كوندياك أنها تعطي وحدها للتمثال نفس القدرات التى منحها إياها الشم، غير أنها تساهم مساهمة أكبر من الحاستين

([1]) Ibid.

([2]) Ibid.

([3]) Ibid.

([4]) Ibid.

السابقتين فى إشعاره بالسعادة أو الشقاء فالحاجة إلى الغذاء تحدد الإحساسات وبالتالي الرغبات القوية [1].

واتجاه الحواس الثلاث "الشم والسمع والذوق" يكسب التمثال قدرة أكبر على توسيع شبكات أفكاره، وتزيد إلى جانب ذلك عدد رغباته، إلا أننا لا نستطيع التأكيد على قدرة التمثال على التمييز بين ما تساهم به كل حاسة على حدة فى التغييرات التى تطرأ عليه، ويتمثل الفصل الحادي عشر فى بيان أهمية حاسة الأبصار وارتباطها بحاسة اللمس، فحاسة النظر "الأبصار" لا تختلف عن الحواس الأخري فى قدراتها على توصيل معني الامتداد الخارجى الذى يجاوز أجسامنا، وباعتبارها حاسة فهى لا توسع معارفنا إلا فيما يتعلق بالضوء والألوان. ولا تستطيع الإيعاز لنا بوجود امتداد L'etendue، أو عالم خارجي إلا بمساعدة حاسة اللمس، وهذا ما يشهد به رد لوك المتعلق بمشكلة مولينو Molyneux "فالذى يولد مكفوف البصر، لا يمكنه إذا ما استعاد القدرة على الأبصار دفعة واحدة التمييز في الضوء بين شكلين من أشكال التكور[2]، وقد أقر هذا الرأي وأثبت صحته الجراح شيسلان Cheselden فالضوء والألوان بالنسبة للتمثال ليست إلا صورتين من صور الحالات التى يمكنه أن يكون عليها والأمر بالنسبة لحاسة الأبصار مثله مثل الحواس الأخري.

ونظراً للعلاقة التى تربط بين اللون والمساحة فإن التمثال يحس ذاته بفضل الأبصار امتدادا ملونا لا يتسم بسطح أو مساحة محدودة. ولا

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.

يحصل التمييز بين الوجوه والأشكال عند التمثال إلا في مرحلة لاحقة نتيجة للأحكام التى يضيفها إلى حاسة الأبصار لا يحصل لديه فكرة عن الموقف أو الحركة.

وفي الفصل الثاني عشر من "دراسة فى الإحساسات" يناقش كوندياك قدرة حاسة الأبصار وأهميتها بالنسبة للتمثال في حالة انضمامها إلى حواس الشم والسمع والتذوق، فيرى أنها لا تسمح له حتي فى هذه الحالة بإدراك أى شيء يتجاوزه، ولا تشك في أن حالتها ووجوها متعلقين بأسبات خارجة عن نطاقه.

أما الجزء الثانى من الدارسة فيعالج حاسة اللمس باعتبارها الحاسة الوحيدة القادرة بذاتها على الحكم على الأشياء الخارجية. فى حين يعالج الجزء الثالث كيف تعلم حاسة اللمس الحواس الأخرى كيفية الحكم على الأشياء الخارجية. ويعالج الجزء الرابع الحاجات والأفكار، وكل ما يتعلق برجل مزود بكل الحواس، وبمعزل عن المجتمع.

تعليق وتحليل:

لقد بدأ كوندياك فى الفصل الأول من حاسة الشم، وهى من أبسط الحواس التى لا تحتاج إلا إلى عامود من الهواء به رائحة، ولكنه يستطيع من هذا الإحساس بالشم الذى هو إحساس بسيط غير معقد أن يفرع عليه جميع الإحساسات المعقدة الأخرى وصولاً إلى أعلاها وهو الإبصار، ومن ناحية أخرى فإن هذا يدل على أن كوندياك أراد وهو يقيم بناء المعرفة على أساس حسى أن يضمن توافق المعطيات الحسية

المباشرة، وتآلفها لكى تخرج موضوعاً حسياً متآلفاً متسقاً، ولكن من أين يجيء هذا الاتساق عنده؟

إنه يأتى من هذه الرابطة التى أشار إليها فيما يختص بالمعطيات الحسية المباشرة، إذ أنه يمكن الانتقال من كل المعطيات من بعضها إلى الآخر نتيجة لتفرع أعضاء الحس الخاصة بها، كما لو كانت نابعة من شجرة واحدة.

وعلى هذا النحو يمكن أن ننتقل فى ترابط من إحساس الشم إلى سائر الإحساسات التى يتكون منها موضوع الإدراك الحسى، وهكذا تتأكد وحدة المحسوس أو المدرك الحسى عن طريق تآلف المعطيات الحسية التى تتلقاها أعضاء الحس المترابطة بيولوجياً.

وتجدر الإشارة إلى أن كوندياك لم يفهم طبيعة العلاقة بين الاحساسات والأشياء الخارجية فبالغ فى ذاتيتها حتى بلغ به الأمر إلى المثالية الذاتية، فالإحساسات فى رأيه هى نتاج الأشياء الخارجية التى ليس بها شيء مشترك يربطها بها، ولما كان الإحساس هو الصلة أو الرابطة الوحيدة بين العالم الحسى، والعقل فمن ثم كان موضوع العقل هو المحصلة الكلية للإحساسات وأكثر من العالم الموضوعى.

4) بين "المقال فى أصل المعارف الإنسانية" و "دراسة فى الاحساسات":-

يختلف موضوع كتاب كوندياك "المقال" عن "دراسة فى الاحساسات" بعض الشيء. وكان كوندياك قد أرجع الحياة النفسية فى كليهما إلى الاحساسات غير أن ذلك الإتجاه يبدو فى "المقال" بصورة أكثر إيجازاً.

لقد حاول كوندياك أن يبدأ فى كتابه "دراسة فى الاحساسات" من منطلق فلسفة باركلى اللامادية التى تذهب إلى "أننا لا نرى إلا ما يدور فى داخلنا" حتى نصل إلى مفهوم حقيقة العالم الخارجى، وبذلك نتفادى مثالية بيركلى. فى حين كانت الاحساسات كما عبر هو عنها فى كتاب "المقال" تبدو فى شكل صورة للأشياء، وبينما كانت كل الإحساسات قادرة على التعريف بالأشياء الخارجية، نجد أن الأمر على العكس من ذلك فى كتاب "دراسة فى الإحساسات"، فالإحساسات فى هذا الكتاب شكل لما نحن عليه، كما تعتبر حاسة اللمس هى الحاسة الوحيدة القادرة على إعطاء مفهوم حقيقة الأجسام. وقد وجد كوندياك نفسه مضطراً إلى بيان ضرورة تدريب الحواس الأخرى التى لا تستطيع أن تحكم بذاتها على الأشياء الخارجية بواسطة اللمس، فى حين أغفل هذه الفكرة فى كتابة "المقال"، يزيد على ذلك أنه فى الطبعة الثانية لكتابه"دراسة فى الإحساسات" اعتبر حاسة اللمس هى إحدى حالات الذات طالما بقى الجسم ثابتاً فى مكانه، ويفسر كوندياك وجهة نظره مؤكداً أن اللمس النشط فقط هو الذى يوجد مفهوم ما هو خارجى، وحركة اليد وحدها من مجموع ما يمكن للجسم تحريكه هى التى تجعل الإنسان يحس ويشعر أن هناك خارج نطاق ومحيط جسمه امتدادات لعناصر هى فى ذاتها امتداد لأشياء أخرى وأن هناك امتداد، أو فى كلمة واحدة هناك أجسام.

وقد استخدم كوندياك منهجاً وطريقة للمعالجة، إن لم تكن عبقرية ومتبكرة، فقد افتراض وجود تمثال مجهز ومعد من الداخل على شاكلتنا، ومزود بعقل خالى من الأفكار، له غلاف خارجى من الرخام الذى يحول دون أى اتصال مع العالم الخارجى بواسطة الحواس،

والمرحلة التالية هى تزويده بالحوس حاسة بعد الأخرى مع البدء بأكثرها ذاتية، وهى حاسة الشم.

وقد اجتهد كوندياك فى تبيان كيفية اكتساب التمثال فى الوقت نفسه لكل الأفكار والقدرات الخاصة بالنفس الإنسانية. وهذه الطريقة لم تكن مبتكرة بالمعنى الخالص للكلمة، وقد اعترف كوندياك بفضل مدموازيل فيران فى اقتراح فرضية التمثال، كما أشار كذلك إلى فضل ديدرو الذى سبق كوندياك وتعرض لفكرة مماثلة فى رسالته عن الصم والبكم عام 1751، وهى تجزئة الجسم لمعرفته عن قرب، وكان "بوفون" هو الآخر قد أشار إلى مثل هذه الفكرة فقد تخيل الإنسان باعتباره من صنع يد الطبيعة، وهو يحاول اكتشاف الأشياء واكتشاف ذاته، ويمكن إضافة اسم شارل بونيه الفيلسوف السويسرى إلى قائمة من واتتهم نفس الفكرة.

وتشبه طريقة معالجة كوندياك لهذا الفرض فى تفصيلاته لعلم النفس الحديث، فقد حاول جاهداً أن يبين أن ما نعتقده فطرياً هو فى واقع الأمر مكتسباً، وأن ما نعتقده بسيطاً هو فى الحقيقة معقد ومركب لإهمالنا وإغفالنا لكيفية تحققه، ويجب ملاحظة أنه ليس هناك ثمة صلة بين الوراثة. بمفهومها لدى علماء النفس المعاصرين، وبين طريقته[1]. ففرضية التمثال ليست إلا حيلة أو وسيلة تسمح لكوندياك بتوضيح المسار المنطقى لأفكارنا من لحظات ميلادها أى من صورتها البسيطة إلى صورتها الأكثر تعقيداً. أما أسلوب كوندياك فى معالجته لهذا الموضوع فيشبه أسلوب روسو فى كتابة "العقد الاجتماعى" فقد

([1]) Ibid P9.

أعاد حالة اجتماعية مثالية من فرض وجود صورة اجتماعية معينة[1].، فكوندياك يعيد بناء قدرات النفس وملكاتها بدءاً من حالة يكون الذهن فيها خالياً من أى نوع من الأفكار، ولذلك يعد منهجه ثقافياً فى المقال الأول وهذه الطريقة هى التى أطلق عليها ف، ديلبو V.Delbos اسم "الصورية المنطقة" Panlogisme [2].

5) نقد المذهب الحسى عند كوندياك:-

قد قوبل كتاب كوندياك "دراسة فى الاحساسات" بهجوم ونقد شديدين من الكثيرين من فلاسفة وعلماء ولاهوتى عصره. فقد اتهمه الراهب دى لينياك Labbe de lignac بالمادية ويقول عنه "... سوف يتخذون اقتراحك بأننا لا نرى الامتداد إلا فى إحساساتنا كبديهية أولية وينتهوا إلى أنهم يرون فى الواقعة لثلاثة أبعاد التى توجد فى أحوال النفس، ورغم اتهامه بالمادية فقد وجد من ناصره وبرأه من تهمة المادية مثل: روابيه كولار Colar، ولانج Lange، وج ليون G-Lyon الذين يرون فى كوندياك همزة وصل بين لوك ولامترى[3].

لقد نظر إلى كوندياك باعتباره فيلسوفاً حسياً، فقد وضع لوك مصدرين للمعرفة الإحساس والتفكير، لكن تلميذه اكتفى بالحواس، وحول الإدراك برمته إلى الإحساسات بعد تحولها وهذا يكفى، لكن هذه الرؤية السطحية لأعمال كوندياك لا تكفى وتشير إلى أن أعماله لم تقرأ بالقدر الكافى، لقد كتب كوندياك بدءاً من

([1]) Ibid.

([2]) Ibid.

([3]) Dedier Jean: Condillac. P63.

كتابه "المقال" أنه فى إمكان النفس وبدون مساعدة الحواس إكتساب المعارف، غير أن الخطيئة الأصلية جعلت النفس تابعة للجسد[1]. ، وهنا نشأ الجهل، وسادت الشهوة وتغيرت الأشياء بهذا العصيان، وهنا يبرز الاتجاه الحسى عند كوندياك من خلال هذه الفكرة التى استعارها من لوك- فالنفس سلبية ولا دور لها فى إنتاج وخلق الأفكار البسيطة ولكن هذا ما يصححها- ولكن النفس إيجابية فى عملية توالد وظهور الأفكار المركبة، لكن هل يعنى ذلك أنها سلبية فى إنتاج الأفكار البسيطة؟[2]. لقد كتب كوندياك يقول فى كتاب النحو: ".... يجب التفكير والتعقل لاكتساب الأفكار حتى تلك الأولية التى تنقلها لنا الحواس، ويشرح ذلك قائلاً: إن كل الأفكار التى تصل إلينا باللمس تفرض وجود تشبيهات"[3]. وأحكام، بذلك يمكننا أن نصبح سادة على الحواس فالبصر ينشط اللمس، وتعد الأعضاء مهيئة لوجود الحواس، وهكذا فبدون الإدراك يصبح تأثير الأشياء على الحواس غير مجدى، ولا تكتسب النفس أى نوع من المعارف. ومن ثم فإن الإدراك (فن التفكير) هو أول لبنات المعرفة[4].

ويرجع القول بسلبية النفس فى الإحساسات إلى حالة التشبع بالإحساس التى تكون عليه حينئذ، ومثلما نقول بأنه لا يملك اللذة إلا من يستطيع أن يحس، فإننا نقول بأنه لا يملك الإحساسات إلا النفس فهى إذن تحس برد فعل خاص بها بواسطة الأعضاء.

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) Ibid.

وبمجرد وجود الإحساسات فإن النفس تحولها بنشاطاتها، يقول كوندياك فى "المقال": "عندما أقول بأن الحواس هى مصدر جميع معارفنا، فلا يجب أن ننسى أن ذلك يكون بقدر ما نجتذبها من الذهن بالتفكير، واستخراجنا لها من الأفكار الواضحة الجلية، وهنا تعمل الذاكرة، كما يعمل الخيال على تنمية الانتباه النشيط، أى يحولا الأشياء الخارجية دون تبعية النفس، وفى النهاية يصبح الانتباه هو الذى يوجد الصلة بين الأفكار"[1]. واستناداً لما أقر به مين دى بيران Maine de Biran، فقد خلط كوندياك بالإحساسات ذلك العنصر العقلى الذى يبقى ثابتاً فى بوتقة التحليل[2].

6) دفاع كوندياك عن مذهبه (أهمية الاحساسات كمصدر للمعرفة):

يبلور كتاب "دراسة فى الإحساسات" هدف كوندياك من المعرفة وبيان مذهبه الحسى، فهذه الدراسة تبين كيف ترجع معارفنا وكل قوانا إلى الحواس Senses.[3] وإذا توخينا الدقة إلى الاحساسات؛ لأن الحواس كما سبق أن بينَّا ليست إلا العلة العرضية؛ لأنها لا تحس، وتترك للنفس وحدها مسألة الإحساس الذى يواتيها كلما حانت المناسبة فى الأعضاء، وتجذب هذه الإحساسات المتحولة جميع معارفنا وتتميز "دراسة فى الإحساسات" فى ضوء ما يراها كوندياك بعدة مميزات هى[4].

([1]) Condillac: Essay.P199.

([2]) Dedier, jean: Condillac.

(1) Traite des sensations P 140.

([4]) Ibid.

1- أنها تسهم فى تقدم فن التفكير.

2- أنها تساعد على الوصول إلى كيفية تكوين أفكارنا؛ لأنها تعرفنا بكيفية تكونها.

3- تعمل على دحض دعوى القائلين بالغريزة لجهلهم بها، وعجزهم عن تحديدها.

4- تنقد هذه الدراسة المذهب العقلى لأرسطو، وتأخذ عليه إعلانه للحقيقة دون معرفتها، كما تعيب على المذاهب الأخرى انقياد الشخص فيها لرأى دون آخر أو لرأى الأغلبية فتنشأ المذاهب على ضلال.

يقول كوندياك "لم يطور أرسطو من مبحثه فى مصدر المعرفة، لقد كان شغله الشاغل هو البحث عما يخالف به أفلاطون"[1]. كما ينقد المذهب التجريبى للوك، لاعتماده على التأمل، يقول فى مقدمة موجز الجزء الأول من "رسالة فى الإحساسات": "..... لقد ميز لوك مصدرين للمعرفة أو لأفكارنا هما الحواس والتأمل. ولكن لم يعرف بالتأمل، واقتصر على المبدأ الأول فكان أكثر واقعية؛ لأن التأمل مصدر ضعيف للأفكار، كما أنه القناة التى تمر من خلالها أفكار الحواس، وقد أسدل هذا المبدأ الظلام على مذهبه بعد أن بين عجزنا عن تطوير المبادئ[2].

إن كوندياك يرى أن "رسالة فى الإحساسات" هى العمل الوحيد الذى أعطى الإنسان كل عاداته من خلال ملاحظة الإحساس فى

([1]) Ibid P 139.

([2]) Ibid 147.

مولده، فإنه ليس من الضرورى أن نستخدم كلمات غامضة مثل الغريزة أو الحركات الميكانيكية، ذلك لكفاية ملاحظة الإحساس والقوى[1].

تعليق وتقييم:

لقد استطاع كوندياك أن يجسد الأفكار الرئيسية لفلسفته من خلال مؤلفه الأول "مقال فى مصدر المعارف الإنسانية" فذهب إلى أن النفس تعتمد على الجسد فى تحصيل المعارف، وذلك لا يحدث إلا عندما تتأثر النفس بالتفاعل الداخلى والخارجى للأشياء، ذلك التفاعل الذى ينتهى بالموت، وبالتالى أصبح كل منا يعرف الكثير عن جسده من خلال عنصرين هامين للإدراك هما: الإنطباع النفسى والعقلى، وهما يتأثران بأشكال متنوعة للانطباعات التى تصبح إما ذكريات طيبة أو غير ذلك.

إن أحكامنا تستند فى المقام الأول على انطباعين أساسيين، فلو أننا قلنا على سبيل المثال أن هذه وتلك الزهرة بيضاء، فإن ذلك سيشير إلى سلسلة من الأحكام تعتمد على المنطق والأستدلال والفهم الذى يقوم به العقل، هنا يخرج الانطباع ذاتياً ليصدر الحكم النهائى على الأشياء بواسطة اللغة، أو الإشارات التى تساعد على التذكر.

ولقد قام ديدرو فى عام 1749 بنشر بحث خاص باسم "رسالة فى المكفوفين" وهو يتعلق ببحث كوندياك للفهم والإدراك، وقد تشابه البحث من الناحية الموضوعية مع مثالية بيركلى، وكان ديدرو قد طالب كوندياك بالتخلى عن هذه المثالية الذاتية المستترة فى المذهب، ودفعه إلى العمل على تعديل تعريفات العقل، ومن ثم فقد كان على

([1]) Ibid 141.

كوندياك أن يثبت ما افترضه لوك من قبل عن وجود عالم خارجى مادى، هو الذى يسبب انطباعاتنا أو إحساساتنا، وهكذا أصبح كتاب كوندياك الرئيسى "دراسة فى الإحساسات" يشير إلى هدفين مزدوجين: أحدهما يشير إلى التحولات النفسية العقلية، والآخر يشير إلى الانطباعات المستنبطة من خلال الإحساس الذاتى الذى لا يعتمد على روح الأفكار العقلية الخاصة بالعالم المادى، ولقد ساعده تعمقه فى الدراسات اللاهوتية على هذا الأمر؛ لأنها ترفض الافتراض والتأثر بالعالم المادى الذى حاول كوندياك إثباته للعقل، لذلك كان كوندياك يفترض أن التمثال الرخامى قد يشبه الإنسان، ولكنه حرم من العقل الذى يحتوى على الأفكار والحس، وقد ساعد على هذا الأمر تحليل العلاقات بين الإحساسات المختلفة والمتنوعة، فضلاً عن الافتقار إلى التفاعل الداخلى مع البيئة. لكن صانع التمثال كان على النقيض مما صنعه فهو إنسان عاقل، يتفاعل مع البيئة داخلياً وخارجياً، ويتعامل معها من الناحية الموضوعية، لذلك فإن التمثال يجسد إحساس وجود الإنسان ذاته، والرغبة فى تحقيق أمر ما. ومن ثم استغل كل حواسه ومداركه لخوض هذه التجربة التى تقوم على الإرادة، والإحساس، والذكريات، والحكم، والعلية التى تشكل تفهمه للأمور.

ولكن كيف استطاع كوندياك أن ينتقل فى ضوء مذهبه من تحولات النفس إلى عقيدة الإيمان الخارجى؟؟ إن كوندياك يقدم الإجابة المناسبة من خلال تحديد، أبعاد أصل تجربة الوعى والإدراك الحسى، كما يحاول فى ذات الوقت استعراض وجود العامل المؤثر فى جميع هذه الأمور، وهو الذى يتجسد فى العلة الناجمة عن هذا الإحساس، فيقول: أن العلة تكمن فى المقام الأول فى الوظيفة أو الوظائف العقلية، وهى

تلك العمليات أو الوظائف التى قد تؤدى إلى اختلاط الأمور إذا لم يكن هناك وضوح كافى، لكن كوندياك يؤكد على أن الوضوح دون الخبرة المسبقة لا يكفى لوصف واستيعاب ودراسة مثل هذه الظواهر التى باتت تخضع الآن إلى إيديولوجية القرن التاسع عشر التى أشار إليها كل من ديستوت دى تراسى Destut de tracy وبطريقة خاصة عند مين دى بيران.

ولكن يبرز كوندياك كيفية إدراك الظواهر Phenomenologie فقد تطرق إلى توضيح حاسة اللمس للتمثال الرخامى، وضغط الأجسام، ورؤية الأشياء التى تعكس الانطباعات، وبطبيعة الحال فقد افترض كوندياك هذه الأمور التى ينظر إليها الفيلسوف على أنها لو توافرت باعتبارها عوامل هامة لاستطاع التمثال الرخامى أن يصبح مثل الإنسان تماماً، تتوافر لديه حواس مثل الإحساس باللمس، والتحرك، والتذوق، والسمع.

ويرى كوندياك أنه لو توافرت للتمثال الرخامى هذه الأمور لاستطاع المقارنة بينه، وبين الأشياء الأخرى، خاصة عندما يلمس التمثال صدره أو يديه وسوف يشعر على الفور بالفرق بينه وبين الآخرين، كما سيدرك وجود ما يسمى بالعالم الخارجى، وهذا الشعور لا يمكن إدراكه من الداخل، ولكن يشعر به من خلال نظرة مجردة خارج الجسم، ومن هذا المنطلق استطاع كوندياك أن يكتشف الوجود الخارجى من خلال الفراغ والمادة.

كما يرى أن هذه التحولات تستمر بذاكرتنا الخاصة باللمس ، وترتبط بعوامل الحس الأخرى التى تساعدنا على التمييز والمقارنة بين الأشياء ، وأهمها حاسة اللمس التى اعتمد عليها كوندياك، وقد

استطاع أن يفرض للتمثال الرخامى من خلالها لغة خاصة للتخاطب. وقد استطاع كوندياك بمنهجه ونسقه الخاص تقديم السمات الخاصة لكل من الإنسان والحيوان، وإثبات وجود الله، وكذلك الإشارة إلى كيفية ظهور الإنسان، والإيمان بالله خالق البشر والأشياء.

ومن خلال هذه المقالات استطعنا أن نلاحظ كيفية ظهور الأخلاق باعتبارها مبدأ التعامل بين الأفراد، ومن ثم استطاع كوندياك أن يكمل فلسفته بالتأكيد على أن الله هو المصدر الأول والآخر الذى يستمد منه قوة الأخلاق والفهم والإدراك.